﴿ الشوقيات ﴾

ذكرني بالشوقيات صدور امر مولانا العزيز العباس ايده الله تعالى بالانعام على صاحبها الاديب الفاضل احمد شوقي بك بلقب « شاعر الحضرة الخديوية » والاذن له بان يكتب هذا على دواوينه ومؤلفاته .

ذكرني هذا — وما كنت ناسياً — بأن صاحب الشوقيات تفضل باهدائها وانني لمّا اقم بشكر هذه اليد له بالتقريظ الذي تستحقه . وما كان هذا مني عن تعمد ولكنني نظرت فالفيت ان التقريظ إما اظهار محاسن الكتاب الذي يقرظ للتشويق اليه والترغيب فيه واما الانتقاد على مساوئه . فاما اظهار المحاسن لاجل التشويق فما اغنى غانيات « الشوقيات » عنها وعن لازمها من الاشتهار فهي التي جاوزت الامصار حتى عمت شهرتها الاقطار

سارت بها الركبان تطوى نفنفاً فنفنفاً وسبسباً فسبسباً

ولذلك لجأ الادباء والكتاب فى تقريظها الى الكلام العام فى الشعر ومحاسنه وتأثير التخييل فى الوجدان والحمل على ما يريد الشاعر منه والشوقيات لم تدع فى هذا المقام مقالاً لقائل حيث وفته حقه فى المقدمة التى شهدت لشوقى بك بالاجادة فى المنثور كالمنظوم وهى التى لم تتفق — كما قال ابن خلدون — الا للاقل . نعم انه فى الشعر اعلى كعباً وارسخ قدماً وان روح الشعر اللطيفة تطوف فى جميع منثوره

واما الانتقاد فالشوقيات اعصى منظوم العصر على الانتقاد السديد . معان عالية . وعبارات زاهية . وافكار دقيقة . فى اساليب رشيقة . اللهم الا ما لا يخلو عنه كلام المولدين ولا سيما المتأخرين من كلمة لم تنطق العرب بها . او لفظة وضعت فى غير موضعها . كلفظ (اختار) فقد استعمله شوقى وانما سرى اليه من مثل ابن الفارض القائل :

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهباً

فواحيرتى ان لم تكن فيك خيرتى

والشيخ عبد الغنى النابلسى القائل :

حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تختار

ومن هنا سمى ابن عابدين حاشيته المشهورة (رد المحتار الى الدر المختار) اما ابن الفارض فقد اوقعه فى الخطأ الغرام بالتجنيس وتبعه ابن عابدين فيه واما النابلسى فلعلها سرت اليه من استعمال مثل ابن الفارض وكذلك شأن شوقى بك وغيره . مثل هذه الهنات لا تذكر فى تقريظ الكتب الا ممن يتصدى لخدمة اللغة باظهار اغلاط الخواص كما فعل

الحريري ونواب بهوبال وعند ذلك يكون تناول الشوقيات بيد الانتقاد تعظيماً لشأنها فان اكثر شعراء العصر وكتابه لا تحصى اغلاطهم وخطأهم وانما يحصى صوابهم

للشوقيات ابواب تدخل فيها انواع القول وفنونه . وضروبه وشجونه من آداب واخلاق . وحكم وامثال . وغزل ونسيب . ومديح ورثاء . وحاشاها من الذم والهجاء . فقد ضربت آداب « شوقي » بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح . ولا يخرق ولا يتسلق . فاما حكمه ومواعظه فصوادع . واما غزله فخلوب رائع . واما مديحه فقد احله محله . وارتق به الى مكانة تليق به . فجعله مقصوراً على امراء مصر — اسماعيل وتوفيق ومولانا العباس اطال الله حياته . واما الرثاء فلم يتجاوز به الامراء . الا الى بعض العلماء والكبراء . ولا تسل عن سائر الشجون . وما فيها من الفنون والفتون

واعلى من هذا كله وهو القول الوحيد الذي اقرظ به الشوقيات ان في الكلام « روح التأثير » وهو الغاية التي تقصد بالبلاغة فاذا وفق صاحب الشوقيات للنظم في انتقاد العادات ونحوه من المواضيع الاجتماعية الاصلاحية ينفع امته نفعاً يحفظه له التاريخ ويشكره له الله تعالى والناس . وبهذا يكون الشعر من انفع وسائل التهذيب واجل حاجات العمران خلافاً لما في الصفحة ١١ من مقدمة الشوقيات من اطلاق انها من الكماليات الادبية فان قولهم هذا انما يصح باعتبار صناعة الشعر وانحطاطها لا بالنظر الى آثارها . ولنا في هذا المقام كلام نرجئه لفرصة اخرى